بعض الآثار الاجتماعية المترتبة عن العنف ضد المسنين

د. إسماعيل عمر الوكواك **أ. عمر حسن رحومة**

قسم علم الاجتماع/ كلية الآداب والعلوم الشقيقة / جامعة غريان

الملخص:

تكمن المشكلة الاساسية التي ينطلق منها هذا البحث في إن هناك نوعاً من التنامي في الاتجاه الكمي والنوعي لسوء معاملة كبار السن في المجتمع الليبي بصفة عامة وفي الآسرة بصفة خاصة، فلم يعد يشكل كبار السن في المجتمع مكانة مميزة في السلم الاجتماعي. ومن منطلق أخر يمكننا أن نتساءل لماذا يلجأ أقارب المسنين إلى إلحاق الضرر بمن يقومون برعايتهم من المسنين؟

ويهدف البحث إلى: 1. التعرف على الظروف الاجتماعية والنفسية والاقتصادية التي تنتج ظاهرة سوء معاملة الآباء في الاسرة الليبية. 2. الكشف على الاسباب والأساليب التي يمكن إتباعها في معاملة كبار السن.

تم استخدام المنهج الوصفي لإجراء هذا البحث، حيث توصل من خلال البحث الى مجموعة من النتائج والمقترحات التي تساعد في التعرف على الاثار الاجتماعية الهامة ضد كبار السن.

الكلمات المفتاحية: العنف ـ المسنون ـ الاسرة ـ محيط الاسرة ـ التحولات الاقتصادية ـ المؤسسة الاجتماعية ـ الاثار الاجتماعية

مقدمـــة:

أضحت ظاهرة العنف بمعناها الواسع من أهم المشاكل التي استرعت انتباه واهتمام سكان العالم علي مختلف ثقافاتهم ومنطلقاتهم ، وبالرغم من خطورة الظاهرة في معناها السياسي والاجتماعي الواسع فان العديد من المجتمعات لازالت لم تعطي الاهتمام الكافي لفداحتها ومدي تأثيرها علي الأسرة بصفة عامة وعلي كبار السن بصفة خاصة وهؤلاء الذين صاروا يتعرضون للضرر من قبل أفراد أسرهم وأقاربهم ومن إهمال مؤسسات المجتمع لاحتياجاتهم المتزايدة ، ويشكل العنف الأسري ظاهرة عالمية وسلوك شائع في ثقافات عديدة مع الاختلاف في أوجه الخطورة والمسببات والآثار المترتبة علي ممارسته وينظر الي العنف ضد كبار السن بأنه جزء لا يتجزأ من ظاهرة العنف الأسري والذي يشمل جميع الأعمال التي ترتبط بالإساءة أو الإيذاء من طرف ضد طرف أو أطراف داخل العائلة الواحدة .

ويكتسب تحليل الآثار المختلفة لمفهوم تعنيف كبار السن أهمية بالغة لكونه يرتبط بأمن واستقرار وتماسك الأسرة وسياسات وبرامج التنشئة الأسرية والتعليمية والعدالة الاجتماعية والطريقة التي يدرك بها الرأي العام ما يدور في الأسر الإسلامية العربية فكريا أو عمليا.

ويعبر مفهوم العنف عن حقيقة سيئة من حقائق الحياة الاجتماعيــة والأسرية معاً. ففهم هذه الحقيقة فهماً واضحاً ودقيقاً يجنب المجتمع الكثير من المشاكل الاجتماعية الأمر الذي يجعل من الأهمية القصوى طرح موضوع العنف الأسري وما مدي سيطرته كموجه ثقافي لتفكير وسلوك أفرادها بدلاً من توخي ثقافة التسامح والمحبة والشعور بالآخرين واحترامهم ، وبات من المفيد في ظل التحولات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي يشهدها المجتمع الليبي خلال الأربعة العقود الأخيرة والتحديات التي يواجهها من جراء متطلبات العولمة والمصلحة ضرورة الاهتمام بدراسة كافة أشكال العنف التي باتت تشكل مظهراً من مظاهر الحياة المعاصرة آخذة في النمو والتنوع سببت الكثير من المشاكل علي كافة أنماط الحياة .

فالأمر الذي أصبح يدعو الي المزيد من المراقبة الجيدة دون تهويل أو تهوين. ولقد كان تاريخ الأسرة المسلمة يحمل في طياته مظاهر ثقافية عقلانية تدعوا إلي المحبة والسلام والتعاون والتعايش وحسن المعاملة والمعاشرة ، إلا إن هذه المعطيات قد تعرضت بفعل سياسات التحديث والمعاصرة وتقليد و محاكاة الغرب الي معتقدات ظلامية أفرزتها ثقافات أخري تسعي لهدم النماذج المثالية للترابط والتماسك الاجتماعي ، بحجة مساندة وتمجيد الحريات الفردية و ترسيخ مفهوم الاستقلالية ، الأمر الذي جعل من مكونات المحيط الاجتماعي المستحدث تفرز العديد من صور الضرر المادي والمعنوي التي لم تألفها المجتمعات العربية الإسلامية ،ولمعرفة الصور المستحدثة للعنف الأسري الذي يُرتكب ضد شريحة كبار السن في المجتمع الليبي يتطلب الأمر تحليل منظومة العلاقات الاجتماعية والمعطيات الثقافية القيمية التي تحكم أنماط التفاعل بين المسنين وبقية أفراد أسرهم أي بمعني أن هذا البحث بوصفه بحث اجتماعي فهو يهتم في الأساس بكشف وتحليل العوامل التي تجعل من أفراد اسر كبار السن يقومون بارتكاب سلوكيات تلحق الضرر والإساءة بكبار السن داخل أسرهم ، فهو بحث يركز علي العوامل المتعلقة بالضغوط ((الشد)) الحياتية المصاحبة للتحولات الاجتماعية والنفسية والاقتصادية التي يشهدها المجتمع ، أو تلك العوامل التي تتعلق بمسألة تنامي ضعف الروابط والعلاقات بين أفرادها .

اولاً / مشكلة البحث:

تكمن المشكلة الأساسية التي ينطلق منها هذا البحث في إن هناك نوعاً من التنامي في الاتجاه الكمي والنوعي لسوء معاملة كبار السن في المجتمع الليبي بصفة عامة وفي الأسر بصفة خاصة، فلم يعد يشكل كبار السن في المجتمع مكانه مميزة في السلم الاجتماعي.

فأصبح ينظر إلى كبار السن على أساس أنهم مصدر للتمويل المادي أو الحصول على ارث، الأمر الذي يجعلنا نتساءل عما إذا كان كبار السن لازالوا يشكلون أهمية لأفراد أسرهم أم أن هذه الأهمية أصبحت تتضاءل وتقل بحكم العديد من الظروف الاجتماعية والنفسية والاقتصادية؟

ويمكن اجمال فيما سبق ذكره في سؤال عام كالاتي: -

ما هي الاثار الاجتماعية المترتبة عن العنف ضد المسنين داخل الاسرة الليبية؟

ثانياً / أهمية البحث:

يشكل هذا البحث أهمية علمية وتطبيقية في كونه يبحث في مظاهر وأساليب العنف السلبية التي يتعرض لها كبار السن في المجتمع الليبي وذلك في ظل المعطيات البنائية والاجتماعية والثقافية والمكانية التي يتعرض لها كلا من الأبناء والآباء.

وتكمن أهمية هذا البحث في كونه:

1- تكمن أهمية هذا البحث في الكشف عن ما إذا كان للتفكك الاسري دوراً في العنف ضد المسنين.
2- معرفة الاثار الاجتماعية الناجمة عن العنف ضد المسنين.
3- إن نتائج هذا البحث وتوصياته تساعد المهتمين بالإصلاح الأسري في وضع البرامج والسياسات التي من شأنها حماية كبار السن والأسرة ودعم استقرارها.
4- يفيد هذا البحث في إثراء المكتبة الليبية وطرح العديد من المسائل الأسرية التي تحتاج الي المزيد من البحث والدراسة.

ثالثاً / أهداف البحث:

يرتكز هذا البحث على مجموعة من الأهداف وهي:

1- التعرف علي الاثار الاجتماعية والنفسية والاقتصادية التي تنتج ظاهرة سوء معاملة الآباء في الأسرة الليبية.
2- الكشف علي الأسباب والأساليب التي يمكن إتباعها في معاملة كبار السن داخل الاسرة.
3- الكشف عن الظروف الاجتماعية والاقتصادية المحيطة بالمسن داخل الاسرة.
4- الكشف عن الرؤى الآنية والمستقبلية لحل هذه الإشكالية.

رابعاً / تساؤلات البحث:

1. ما هي الاثار الاجتماعية والنفسية والاقتصادية التي تنتج ظاهرة سوء معاملة الآباء في الأسرة الليبية؟
2. ما هي الأسباب والأساليب التي يمكن إتباعها في معاملة كبار السن ؟
3. ما هي الظروف الاجتماعية والاقتصادية المحيطة بالمسن داخل الاسرة
4. ما هي الرؤى الآنية والمستقبلية لحل هذه الإشكالية؟

خامساً / مفاهيم البحث:

1- العنـف:

العنف في اللغة العربية ضد الرفق، ويُقال عَنُف به وعليه، وعَنفاً أي اخذ بشدة وقسوة فهو عنيف، وعنف الشيء أوله، ويقال: هو في عنفوان شبابه أي في نشاطه وحدته. [1]

وتقترب دلالة اللفظ في العربية من نظيرتها الانجليزية فكلمة عنف (Violence) بالإنجليزية مشتقه من الكلمة اللاتينية (Violentia) وهي تعني الغلظة والقوه.[2]

وتعني كذلك الاستخدام غير المشروع للقوة المادية بأساليب عدة لإلحاق الأذى بالأشخاص والإضرار بالممتلكات ويتضمن ذلك معاني العقاب والتدخل في حريات الآخرين.

إن مفهوم العنف يحمل جملة من المعاني المختلفة تتراوح بين الشدة والإيذاء والتعمد والقوة، لذلك تعددت الحقول المعرفية التي تتناوله بين علم النفس والأخلاق والقانون والسياسة والاجتماع والأنثروبولوجيا والتربية " فالعنف في علم النفس هو انفجار للقوة يتخذ صيغة لا تخضع للعقل. وفي علم القانون استخدام غير مشروع أو غير مبرر للقوة، وفي علم الأخلاق عدوان على ملكية الأخر وحريته، وفي علم السياسة استعمال للقوة استعمالا عاماً تتغير طبيعته بحسب لعبة السلطة.[3]

ويرى الباحث من حيث وجهة نظرة إن العنف هو كل فعل او سلوك سيئ يتعرض له كبار السن داخل الاسرة وعلى الرغم من كثرة التعريفات وتنوعها يمكن تصنيفها في فئات محددة، فمن ناحية هناك التعريف القانوني للعنف وهو يضم مجموعة محاولات لصياغة تعريف يتضمن سمات العنف، وفي هذا الصدد فقد يشار إلى العنف في سياقات تستخدم مصطلحات القوة والإكراه والتهديد والترويع، إذا كان العنف موجهاً ضد الأشخاص، وتشير إلى مصطلحي التخريب والإتلاف إذا كان موجها ضد الأموال.

ومن أمثلة تلك التعريفات تعريف موسوعة الجريمة والعدالة للعنف على انه " مفهوم عام يشير إلى كل صور السلوك، سواء كانت واقعيه أو تهديديه، التي ينتج عنها تدمير وتحطيم للممتلكات، وإلحاق الأذى والموت للشخص.

ويقصد في التشريع الجنائي الإكراه المادي بصفة خاصة ذلك أن غالبية التشريعات لا تنص على الإكراه المعنوي أو النفسي، وعلى ذلك لا يعد إكراها التهديد بالأقوال أو الإشارات مهما بلغ أن تأثيرها على المجني علية، وهذا يعني أن الإكراه المقصود قانونا هو إذن الإكراه الذي يتمثل في الضغط العنيف على الشخص باستعمال وسائل من شانها التأثير في إرادته.[4]

فيعرف احمد زكي بدوي العنف على أنه استخدام الضغط أو القوة استخداماً غير مشروع أو غير متطابق مع القانون من شأنه التأثير على إرادة شخص ما. ومن تعريفات العنف أيضا أنه " تسخير واستخدام الطاقة المادية المتاحة لدى الإنسان بغية المساس بحق يحميه القانون للمجني عليه بهدف تحقيق غاية يسعى الجاني إلى تحقيقها.

يلاحظ في التعريفات القانونية للعنف أنَّ العنف محل تجريم أية جريمة يعاقب عليها القانون لذا فهو أمر غير مشروع يخرج عن القواعد العامة ويسمى جريمة.

فمن ناحية ثانية هناك تعريفات تؤكد على المضمون المادي للعنف، أو أثاره المادية الجسدية؛ وهي لذلك تركز على العنف البدني. وعلى ضوء ذلك يعرف العنف بأنه " أي فعل يحمل في طياته هدفاً بقصد التسبب في الم بدني أو إذا لشخص أخر، ويصنف الألم البدني بدءاً من الإهانة والصفعة إلى القتل العمد.[5]

من ناحية ثالثة هناك مجموعة من التعريفات توسع من مفهوم العنف ليشتمل على جوانب أخرى غير الجوانب المادية، مثل الجانب النفسي أو الانفعالي. فمن أمثلة تلك التعريفات تعريف العنف بأنه " كل فعل مادي أو معنوي تم بصورة مباشرة أو غير مباشرة ويستهدف إيقاع الأذى البدني أو النفسي أو كليهما بالفرد (الذات أو الأخر) أو الجماعة أو المجتمع بما يشمله من مؤسسات مختلفة ويمكن أن يأخذ هذا الفعل أساليب عديدة ومتنوعة معنوية كانت مثل :(التهديد والترويع والنبذ) أو مادية مثل :(التشاجر والاعتداء على الأشخاص والممتلكات والانتهاكات الجسدية والمعنوية في آنٍ واحد) ".

يتفق مع هذا الاتجاه تعريف آدم كوبر في موسوعة العلوم الاجتماعية للعنف بأنه " مظهر من مظاهر التدمير المادي والنفسي والانفعالي والجنسي وهو يتضمن استخدام الأفراد للقوة والاعتداء، وذلك من أجل تحقيق أهداف معينة أو تحقيق مصالحهم الخاصة ". [6]

العنف: إلحاق الضرر بالمسنين مادياً ونفسياً وجسدياً.

2- المسنــون:

المسنون جمع كلمة مسن وتطلق على مجموعة من الأفراد الذين تقدمت بهم السن ووصل بهم العمر إلى آخرة، وقد يعبر (بالسن) عن العمر و (أسَنَّ) الرجل كبر أي بمعنى تقدم بالعمر إلى أخر مراحله. [7]

أسَـنَّ: كبرت سِنُّه. وهو أسَنُّ منه أكبر سِـنّاً. [8]

الْمسِنُّ: هو من كبرت به السِّنُّ أي صار كبيراً في عمره. [9]

السِّنُّ: وهي مراحل عمر الإنسان وتنقسم إلى أربعة مراحل، سن النمو وهي (أول مراحل العمر حتى عشرين سنة)، ثم سن الوقوف يتوقف فيها النمو وتبدأ من (20 سنة حتى 40 سنة)، ثم سن الانحطاط مع بقاء القوة من (سن 40 إلى سن 60 سنة)، بعدها المرحلة الرابعة والأخيرة وهي (سن الانحطاط مع ظهور الضعف في القوة وتسمى (سن الشيخوخة أو الكهولة). [10]

ويعرف المسنون ديموغرافياً وإحصائياً (بأنهم السكان ذوي الأعمار "60" سنة فأكثر). وقد اعتبرت أغلب الدول العمر من 60 ـ 65 سنة هي بدء سن الشيخوخة وصرف المعاش للمستحقين من الرجال وسن 55 سنة بالنسبة للنساء ويرتبط بكثير من الأحيان بمتوسط الأعمار في كل دولة. [11]

علم المسنين: هو علم دراسة الأفراد المتقدمين في السن من أجل الوصول إلى انجح السبل لعلاج المشكلات التي يمرون بها أثناء تفاعلهم مع البيئة سواء كانت اجتماعية أو نفسية أو صحية. [12]

كما يختلف مفهوم المسنين في الأنماط المجتمعية المختلفة حيث نجد أن التقدم في السن في المجتمع البدوي له معنى اجتماعي أكبر قيمة من المعنى الفسيولوجي، حيث أن كبير السن يحظى باحترام الجميع، فهو صاحب الرأي السديد والقرار والقيادة والسيادة في أغلب أمور الحياة، بينما نجد أن فئة كبار السن في المجتمع الحضري محددة بسن (60 سنة) وهي سن استحقاق المعاش التقاعدي، ذلك أن أغلبهم يعملون في وظائف تابعة للدولة عكس المسنين البدويين الذين يعملون بالزراعة وتربية المواشي ولا يحسبون للعمر الزمني حساب. [13]

ويمكن تعريف أيضاً كبار الســـن: هم المســـــنون الذين تتراوح أعمارهم ما بين(60 فما فوق) من الجنسين داخل محيط الأسرة وخارجها) المؤسسة الاجتماعية).

3- الأســرة:

مفهوم الأسرة لغة واصطلاحًا: -الأسرة من " أ س ر" الألف والسين والراء، ومعناه الحبس والإمساك، وأسر إساره هي شده وربطه، وقد اشتق مصطلح الأسرة من هذه المادة اللغوية لما يترتب على كل واحد من أعضائها من التزامات نحو الآخرين. كما أنها تعطي معنى القوة والشدة، وهي الدرع الحصين فهي تعد لكل من أعضائها الدرع الحصين.[14]

هذا المعنى اللغوي للأسرة كسور حصين يصعب اختراقه يُشعر المرء بأهمية هذا السور، والذي بهدمه تضيع العلاقات في المجتمع ولن تبقي هناك أبوة أو أمومة أو بنوة أو عمومة أو خؤولة. الخ، وهي عشيرة الرجل ورهطه الأقربون وسميت بهذا لما فيها من معنى القوة حيث يتقوى بها الرجل. ومفهوم الأسرة هذا من خواص الإنسان، فلا يطلق على ذكر الحيوان وأنثاه أنها أسرة لأن العلاقة بينهما لا تدوم ولا تبقي، ولا تتوقف العلاقة بينهما على شروط ولا تترتب عليها أية التزامات.

مفهوم الأسرة في علم الاجتماع: أجمع علماء الاجتماع على أن مفهوم الأسرة الزوجية الصغيرة، أو الأسرة النواة هي الوحدة الأساسية في شبكة أي علاقة قرابة، وهي أن يتعايش أي زوجين ناضجين رجل وامرأة في بيت مع أطفالهما الطبيعيين. أما عندما تضم الأسرة ثلاثة أجيال أو أكثر (الأجداد، والآباء، والأبناء، والأخوة وزوجاتهم، والعمات والخالات وأزواجهن، والأعمام والأخوال وزوجاتهم، وأبناء العمومة، وأبناء الخؤولة) فإننا نتحدث عن الأسرة الممتدة.

فالأسرة الممتدة كبيرة الحجم ومتشابكة العلاقات، ومتعددة المراكز والأدوار حيث يشغل فيها كل فرد ثلاثة مراكز أو أكثر ويقوم بثلاثة أدوار أو أكثر، أي أن الأسرة الممتدة في الدراسات الاجتماعية هي: تجمع بعض الأسر النووية المستقلة استقلالاً داخليًّا داخل الأسرة الكبيرة، وتضم بذلك أجيالاً مختلفة. [15]

فالأسرة بصفة عامة "هي الجماعة التي ارتبط ركناها -الزوج والزوجة- بالزواج الشرعي والتزمت بالحقوق والواجبات بين طرفيها وما نتج عنها من ذرية، وما اتصل بها من أقارب". وعلى هذا فإن الأسرة في الإسلام لها ركنان أساسيان هما الزوج والزوجة وركنان تابعان هما: الأولاد وذوي القربى. أي أن الأسرة الممتدة في الإسلام تنشأ بالزواج والإنجاب، كالأسرة النواة وتكتمل بزواج الأبناء وإنجاب الأحفاد وتتأسس العلاقة فيها على مجموعة من القيم أبرزها: بر الوالدين، وصلة الأرحام. والمقصود بها هنا: ذوي القربى سواء كانوا ذوي رحم أو ذوي نسب من قبيل إطلاق السبب والرحم في أصل الوضع اللغوي: مستقر خلق الإنسان واكتمال تكوينه في بطن أمه. وصلة الرحم هي إسداء البر والخير والمعروف وأداء الحقوق والواجبات والمندوبات لذوي القربى قبل غيرهم من سائر الناس.

4- محيط الأسرة: وهي معيشة المسن مع كل أو بعض أفراد أسرته في نطاق مسكن واحد.

5- التحولات الاقتصادية: وهي التغيرات التي أثرت على وضع المسن أثر وصوله مرحلة الكبر

6- المؤسسة الاجتماعية

لقد ظهرت المؤسسات في حياة المجتمع الإنساني باعتبارها منظمات رسمية عندما بدأت الجماعات الأولية ـ كالأسرة والقبيلة ـ تتخلى عن القيام ببعض وظائفها الرئيسية، وفي مقدمتها وظيفة التنشئة الاجتماعية وهي تحويل الكائن البيولوجي إلى كائن اجتماعي وهي اكتسابه قيم وعادات وتقاليد المجتمع وأعداده لدوره في المجتمع. وكذلك وظيفة الضبط الاجتماعي والرعاية الاجتماعية، فالمؤسسات التعليمية والتربوية أخذت تقوم بوظيفة التعليم والتربية لمختلف المعارف والمهارات.

فالمؤسسة الاجتماعية هي: إقامة المسن داخل مؤسسة الرعاية الاجتماعية للمسنين والعجزة.

7- الآثار الاجتماعية: وهي تدني المكانة الاجتماعية لدي المسنين وعدم توافقهم مع الآخرين وكثرة الخلافات معهم وتعرضهم للعدوان من قبلهم وسوء النظرة التي يحملها الآخرون نحوهم. [16]

***النظريات المفسرة للبحث:**

1- النظرية البنائية الوظيفية:

ينظر هذا الاتجاه إلى المجتمع باعتباره يمثل كلاً مؤلفاً من أجزاء مترابطة يؤدي كل منها وظيفة لخدمة أهداف الكل، فالمجتمع ما هو إلا نسق يضم مجموعة من العناصر المتساندة التي تسهم في تحقيق تكامله، إلا إن هذا التكامل لا يتم بصورة مثالية، فمن المتوقع حدوث بعض الانحرافات في النسق تحول دون أداء وظائفه على النحو الكامل.

فينظر الاتجاه الوظيفي للعنف على أساس أن له دلاله داخل السياق الاجتماعي فهو إما أن يكون ناتجاً لفقدان الارتباط بالجماعات الاجتماعية التي تنظم وتوجه السلوك، وإما أن يكون نتاجاً اللامعيارية وفقدان التوجيه والضبط الاجتماعي الصحيح. [17]

وبما إن العنف يرجع إلى خلل وظيفي في الأسرة، كما يرى أصحاب النظرية البنائية الوظيفية عندما ينظرون إلى الأسرة باعتبارها نظاما اجتماعياً له بناؤه وعلاقاته المتبادلة وحدوده التي تحفظ توازنه، وبالتالي فإن توازن الأسرة يمكن أن يصيبه الخلل نتيجة اضطراب البناء أو العلاقات أو الحدود، وبهذا يمكن القول بأن وجود العنف هو دليل على وجود خلل ما في الأجهزة المكونة، وإذا تغيرت القواعد والقوانين والمسؤوليات التي تعمل على توازن النظام الأسري، فإن من المتوقع أن تظهر في الأسرة علاقات سلبية .كما إن البنيوية الوظيفية تنظر إلى الظاهرة الاجتماعية على إنها وليدة الأجزاء البنيوية التي تظهر في وسطها وان لظهورها وظيفة اجتماعية لها صلة مباشرة أو غير مباشرة بوظائف الظواهر الأخرى المشتقة من الأجزاء الأخرى لهذا البناء، فإن الجزء كما ترى البنيوية الوظيفية يؤثر في الأجزاء الأخرى، ولهذا بنيت فكرة البنيوية الوظيفية على فكرة تكامل الأجزاء والاعتماد المتبادل بين العناصر المختلفة للمجتمع الواحد. كما يرى هذا الاتجاه أن تقليص حدة العنف يكمن في زيادة التكامل الاجتماعي من خلال زيادة ارتباط الأشخاص بالجماعات الأولية التي تعمل على إشباع احتياجاتهم النفسية والاجتماعية وتغرس القيم الدينية وقيم الانتماء.

2- النظرية التبادلية:

تستند هذه النظرية إلى قاعدة أولية مفادها أن موقع الناس الكبار في السن يعتمد بدرجة كبيرة على التوازن بين إسهامات قام بها أولئك الناس الكبار للمجتمع من جانب وبين من يساندهم من جانب أخر وطبقاً لهذه النظرية فإن الأفراد والمجموعات في المجتمع سوف تعمل على تضخيم المكتسبات وتقليل التكاليف والخسائر. وبما إن الكبار في السن ينظر إليهم في الغالب بأنهم غير منتجين، فسيكون لهم موقع اجتماعي منخفض. [18]

وبذلك يتضاءل التفاعل الاجتماعي معهم وتتضاءل موارد سلطاتهم ولا يبقى منها إلا القدرة على الخضوع لما يقرر لهم وقبول التقاعد الإجباري كنوع من التبادل مقابل الإعالة والأمن الاجتماعي والرعاية الصحية المتاحة وغيرها.

كما تعني الفكرة الرئيسية للنظرية التبادلية إلى الأخذ والعطاء، بمعنى الحصول على شي يعني الالتزام برد شيء ذي قيمة مماثلة، ويرى البعض أن هذا المبدأ هو الأساس الذي يقوم علية المجتمع، ومن هذا يمكن تفسير مركز كبار السن في المجتمع تفسيراً جزئياً أي يفتقر إلى القيمة التبادلية، فهم لا يملكون شيئًا يقدمونه مقابل الرعاية والاهتمام، وقاعدة التبادلية ليس لها أجل محدد بمعنى الالتزام حتى يتم الوفاء برد القيمة، وفي العلاقات بين الأشخاص فإن كبار السن في علاقاتهم بالشباب يمكن تفسيرها في ضوء ذلك. [19]

فالواقع " أن الغرض الأساسي لهذه النظرية هو أن كل شخص يسعى في أي تفاعل لتعظيم العائد منه"، بينما في نفس الوقت يستهدف في المقابل تحقيق الحد الأدنى من التكلفة بما في ذلك من احترام للذات والمكانة والمتغيرات النفسية الأخرى. [20]

فالحقيقة أن الفرق في النفوذ والمكانة الاجتماعية يمكن أن ترفع أو تخفض احتمالات المكسب أو الخسارة في العملية التبادلية، وبالتالي يصبح احتمال تفاعل الأفراد مع أفراد آخرين أكثر أو أقل تقبلاً، وحيث إن الأفراد يميلون للاستمرار في وصل العلاقات التي يجدونها (مجزئه) وإلى قطع العلاقات التي تكون (مكلفة) والإفراد اللذين لا يملكون إلا القليل ليقدموه قد يجدون صعوبة في الحصول على ما يريدون من الآخرين. [21]

وتستخدم هذه النظرية نموذج التبادل كبداية لتفسير التفاعل وليس كغاية في حد ذاتها حيث تقرر أن معايير التبادل العادل التي تتقرر على أساسها نتيجة التفاعل هي مكونات اجتماعية يمكن أن تكون على شكل توقعات معيارية للجماعات الاجتماعية تنتقل إلى أعضاء الجماعة بطرق رسمية وغير رسمية.

- الدراسات السابقة:

يتناول الإطار النظري في هذا البحث العلمي مجموعة من الدراسات السابقة لموضوع البحث من حيث أهدافها ونتائجها والتي يستعين بها الباحث وتسهم في تعمقه في دراسته الحالية موضوع البحث: -

الدراسة الأولي: بعنوان: التوافق الاجتماعي للمسنين:

هدفت هذه الدراسة لمعرفة التغيرات الاجتماعية التي تصاحب عملية التقاعد وآثارها على الأسرة بصفة عامة، والمتقاعد بصفة خاصة، كما هدفت الدراسة أيضا لمعرفة الخصائص المميزة لأفراد العنيه الذين يتوافقون توافقا ناجحا مع مرحلة التقاعد، ولقد بلغ حجم العينة (100) متقاعد من الذكور، بمدينة القاهرة، واعتمد الباحث في جمع بياناته على استمارة استبيان لقياس التوافق الاجتماعي للمسنين، وتوصلت الدراســة لمجموعة من النتائج من أهمها ما يلي: -

1- يساهم التقاعد في انخفاض مستوي التوافق الاجتماعي.

2- وجود علاقة سالبة بين التوافق الاجتماعي والحالة الاقتصادية ، فكلما كان راتب المتقاعد قليلا كلما شعر أفراد الأسرة بعدم الأمان الاقتصادي.

3- إن المسنين المتزوجين أكثر توافقا من الناحية الاجتماعية من المسنين الأرامل.

4- يؤثر أوجه النشاط الذي يمارسه المسن المتقاعد علي توافقه الاجتماعي فكلما كان للمسن هوايات ونشاطات يشغل به أوقات فراغه بطريقة مثمرة كلما يساعد ذلك علي توافقه الاجتماعي لحياة الفراغ.

5- تؤثر علاقات المسن المتقاعد بأصدقائه ومدي أهميتهم في نظره علي توافقه الاجتماعي بطريقة ايجابية (نهى فهمي،1967، العدد2. [22]

الدراسة الثانية: بعنوان: الشيخوخة بين الرعاية المنزلية والرعاية المؤسساتية:

هدفت هذه الدراسة للتعرف علي حياة المسنين من خلال الرعاية الاجتماعية وخدمات التي تقدمها لهم الدار، كما حدثت أيضا لمعرفة وجهة نظر المسنين حول وجودهم بالدار باعتبارها مؤسسة رعاية، وكذلك هدفت لعقد المقارنة بين حياة المسنين بدار الرعاية والمسنين خارجها، وتم اختيار عينة عشوائية بحجم (60) مفرده، منهم (30) من داخل الدار، و(30) من خارج الدار، واعتمد الباحث في دراسته على منهج المسح الاجتماعي عن طريق العينة بالإضافة الي المنهج المقارن، واستخدام الباحث صحيفة المقابلة كوسيلة لجمع البيانات.

وأسفرت الدراسة على مجموعة من النتائج من ضمنها ما يلي: -

1-يعاني اغلب المسنين من مشاكل اجتماعية و اقتصادية سواء من داخل الدار أو من خارجها
2- إن المسنين يفضلون البقاء مع أسرهم ويرون إن دار الرعاية لا تخدمهم وترعاهم كما ترعاهم أسرهم.

3- أشار اغلب المسنين بان المعاش الذي يتقاضونه غير كافي لحل مشاكلهم الاقتصادية.

4- عدم وجود برامج وأنشطة ترفيهية خاصة بالمسنين المقيمين مع أسرهم. [23]

الدراسة الثالثة: بعنوان المسنين في الجماهيرية:

دراسة اجتماعية لأوضاع المسنين وحاجاتهم اجري هذه الدراسة كل من الأساتذة: د. الوحيشي بيري، د. أبوبكر شلابي، د. الجيلاني جبريل، د. صالح علي الزين، د. زينب الزهري، بتكليف من اللجنة الوطنية للتخطيط الاجتماعي، 1997 ف.

أجريت هذه الدراسة على كافة مناطق الجماهيرية، البعض يعيشون في بيوتهم الخاصة، والبعض الأخر يعيشون داخل ديار العجزة التالية الذكر: ديار للعجزة والمسنين وهي:

دار العجزة والمسنين الموجودة بطرابلس. دار المسنين الموجودة بمدينة بنغازي.

أهم ما تهدف إليه هذه الدراسة هو الحصول على إجابة للتساؤلات التي طرحتها وهي: -

1- هل يوجد بالمجتمع الليبي عدد كبير من المسنين بالقدر الذي يستدعي الدراسة والاهتمام ؟

2- فإذا كان الأمر ذلك فما حجم هذه الشريحة ؟ ومن أي الجنسين تكون الأغلبية؟

3- هل هناك مشاكل حقيقية وجوهرية يعاني منها المسنون في المجتمع العربي الليبي ؟

4- وإذا كان الأمر كذلك فما نوع هذه المشاكل ؟ وما مدي خطورتها؟ وماهي الأسباب التي أدت الي وجودها؟

5- ماهي الحاجات الضرورية التي يري المسنون ضرورة تحقيقها وإشباعها؟ وأي منها تكون لها الأولوية في التحقيق والإشباع؟

6- ما هو الواقع الذي توجد عليه ديار العجزة والمسنين بالجماهيرية ؟ وما مدي وملاءمتها وصلاحيتها؟ وما مدي رضاء المسنين عن خدماتها؟ وكانت أهم النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة ما يلي:

1- إن أكثر من نصف المسنين هم من غير المتزوجين وهذا لا يعني أنهم يحتاجون لأفراد لرعايتهم والعناية بهم.

2- وتوضح النتائج إن هناك تغيرا في معاملة الأبناء للآباء والأمهات بعد زواج الأبناء.

3- وضحت نتائج الدراسة إن المسنين يتعرضون إلي مضايقات من أفراد المجتمع دون تفريق ومن الابناء و زوجة الابن الأحفاد.

4- إما بالنسبة لعلاقة المسن مع زوجة الابن فكانت ما بين قوية وعادية ومتوسـطة حيث بلغت نسبة الذين أجابوا بذلك) 50%)من أفراد العينة.

5- وتبين إن معظم المسنين أي ما يقرب من(71%) من أفراد العينة يشكون من أمراض جسمانية.

6- جميع المسنين كانوا يفضلون الأبناء والبنات أو الأحفاد وزوجة الابن للقيام برعايتهم عند عجزهم إلا أنهم يفضلون إن يقوموا برعاية أنفسهم بقدر المستطاع.

7- أغلبية أفراد العينة (59%) يشعرون بالفراغ بعد انقطاعهم عن العمل الوظيفي أو عند ترك الأبناء لهم.

8- غالبية المسنين يشعرون بان الشيخوخة مرحلة رديئة من العمر.

9- غالبية المسنين يشعرون بتجاهل الآخرين لآرائهم ومطالبهم.

10- يشعر معظم المسنين بوجود وقت فراغ طويل وممل. [24]

التعليق على الدراسات السابقة:

تناولت اغلب الدراسات السابقة مشكلة رعاية المسنين بصورة جزئية فهناك من يحاول إيجاد حلول لمشكلة أثر تقاعد المسنين على توافقهم الاجتماعي بصفة خاصة وعلى الأسرة بصفة عامة، وهناك من يدرس الجانب السلوكي لكبار السن وأساليب رعايتهم وهناك من تناول قضية تواصل الأجيال ومحاولة تغير اتجاه الشباب نحو كبار السن، حيث نجد إن بعض الدراسات السابقة الذكر اتفقت على وجود مشكلات اجتماعية يعاني منها المسنين ولكن ركزت كل منها على جانب من جوانب هذه المشكلات إلا أنها أسهمت في إظهار هذا البحث من حيث شكله وموضوعه ومادته العلمية وترتبط تلك الدراسات بهذا البحث من حيث الموضوع الذي يدرسه) شريحة كبار السن ، والهدف الذي يسعي إليه وذلك لمعرفة المشكلات التي يعاني منها كبار السن.

إلا إن هذا البحث الحالي ركز اهتمامه بشكل بارز علي بعض الآثار الاجتماعية لممارسة العنف ضد كبار السن فهو في الأساس يهتم بكشف وتحليل العوامل التي تجعل من أفراد أسر كبار السن يقومون بارتكاب سلوكيات قد تلحق الضرر والإساءة بكبار السن داخل أسرهم ،أو بمعني أخر أنه يشكل أهمية علمية وتطبيقية في كونه يبحث في مظاهر وأساليب العنف السلبية التي يتعرض لها كبار السن في المجتمع الليبي وذلك في ظل المعطيات البنائية والاجتماعية والثقافية والمكانية التي يتعرض لها كلا من الأبناء والآباء ،و فيما يلي نعرض محاور البحث :

العنف في الحياة الاجتماعية.

تعتبر ظاهرة العنف من الظواهر القديمة في المجتمعات الإنسانية فهي قديمة قدم الإنسان الذي ارتبط ومازال يرتبط بروابط اجتماعية مع الوسط الذي فيه يؤثر وبه يتأثر إلا أن مظاهره وأشكاله تطورت وتنوعت بأنواع جديدة فأصبح منها العنف السياسي والعنف الأسري الذي تنوع وانقسم هو أيضا إلي: العنف الأسري ضد المرأة – العنف الأسري ضد الأطفال – العنف الأسري ضد المسنين.

كما أن ازدياد انتشاره أصبح أمراً مثيرا للدهشة سواء على مستوي العالم أو على مستوي الوطن العربي وباعتبار الجماهيرية جزء من الوطن العربي فقد كان لها نصيب في انتشاره خصوصا في فترة التسعينيات بعد انتشار الفضائيات والانترنت والمجلات.

وتعد هذه الظاهرة بكافة أشكالها من أكثر المشاكل الاجتماعية التي حظيت باهتمام المعالجين والباحثين في جميع أنحاء العالم وتعتبر جرائم العنف التي ترتكب بحق كبار السن من أخرطها خاصة بعد أن تزايد معدل جرائم العنف ضدهم في الفترة الأخيرة حيث أشارت معظم الدراسات أن كبار السن يتعرضون يوميا لسوء المعاملة ، وأن حالات العنف التي ترتكب بحقهم تنوعت ما بين العنف اللفظي المعنوي والعنف الجسدي المادي وأن ما يساهم في زيادة هذه الجرائم هو عدم إبلاغ المسن عما يرتكب بحقه من جرائم خوفا من فقدان مصدر رعايته , والذي يعتمد عليه بشكل أساسي أو اعتقاده أنه لا جدوى من شكواه ومن المخجل في حوادث العنف ضد المسنين إنها ترتكب من قبل أقرب الناس لهم فنجد بعض الأبناء الذين تجردوا من إنسانيتهم يعنفون بالضرب والإساءة اللفظية والديهم مما يحط من كرامتهم ، ويعرضهم لمشاكل صحية ونفسية .وحيث أن مشكلة العنف جاءت نتيجة للحياة العصرية، فالضغط النفسي والإحباط، المتولد من طبيعة الحياة العصرية اليومية، وتعد من المنابع الأولية والأساسية لمشكلة العنف الأسري. والعنف سلوك مكتسب يتعلمه الفرد خلال أطوار التنشئة الاجتماعية فالأفراد الذين يكونون ضحية له في صغرهم، يمارسونه على أفراد أسرهم في المستقبل، وكذلك فان القيم الثقافية والمعايير الاجتماعية تلعب دورا كبيرا ومهما في تبرير العنف، إذ أن قيم الشرف والمكانة الاجتماعية تحددها معايير معينة تستخدم العنف أحياناً.

ويعبر العنف عن حقيقة سيئة من حقائق الحياة الاجتماعية والأسرية معا ففهم هذه الحقيقة فهما واضحا ودقيقا يجنب المجتمع الكثير من المشاكل الاجتماعية. [25]

أولاً / أنواع العنف:

تتخذ ظاهرة العنف ضد المسنين عدة أنواع أو أشكال ومنها العنف الجسدي والعنف النفسي والعنف المادي والإهمال.

1- العنف الجسدي (البدني):

يتضمن هذا النمط مختلف صور الإيذاء البدني الذي يمكن أن يتراوح بين الصفع، الدفع، إلى الضرب الشديد أو التقييد بالحبال أو السلاسل، عندما يستخدم الخادم أو أي شخص أخر قوة كافية لإحداث الم وجرح دون داعي، حتى لو انعقدت النية أصلاً على مساعدة كبير السن، ومن ثم فان مثل هذا التصرف ينظر إلية كسلوك إيذائي. ومن أساليب الإيذاء البدني: الضرب، العض، الدفع، الركل، القرص، الحرق، أو اللدغ، ويمكن أيضاً أن يشمل أفعالاً أخرى كالعلاج الزائد على الحد أو الناقص عنة، وحرمان كبير السن من الطعام أو تعريضه للضرب القاسي بقصد أو بدون قصد. [26]

2- العنف النفسي:

يتضمن هذا النمط صور الإيذاء العاطفي والنفسي التي يفترضها المحيطون بكبير السن وتشمل التجريح اللفظي، وفرض العزلة الاجتماعية، والضن عليه بالمحبة، وعدم مساعدة على المشاركة في اتخاذ القرارات المتعلقة بحياته الخاصة، ويتراوح هذا الإيذاء بين الشتم أو القهر الصامت، والتهديد، عندما يقوم أحد أفراد الأسرة أو الخدم أو شخص آخر بتصرف غير إنساني تجاه هؤلاء الكبار، مما يسبب الخوف أو الألم الوجداني والنفسي أو الحزن أو الكمد، وكل هذا يعتبر إيذاء. ويجوز أن تشمل الإهانة أو الإيذاء العقلي أو الاستخفاف والتسفيه أو الوعيد، ويمكن أن تشمل أيضاً معاملة كبير السن كطفل، أو عزلة عن العائلة، والأصدقاء، والأنشطة الاعتيادية المنظمة، أما بالقوة أو التهديد، أو من خلال المناورة.

3- العنف المادي:

يتضمن سوء التصرف المالي في الملكية الخاصة بكبار السن، ويحتوي أيضاً الاحتيال والتلاعب والنصب أو استخدام اعتمادات كبار السن لغير أغراضهم وحاجاتهم واهتماماتهم. ويتراوح ما بين سوء التصرف في مال الكبار إلى الاختلاس والابتزاز والاستغلال والخداع وانتزاع المال بقوة والتزوير والبهتان في التحويلات المملوكة لهم، واقتناء المشتريات الباهظة من أموال كبير السن دون معرفته أو إذنه، أو إنكار سلب أمواله. إلى جانب ذلك فان الاستغلال المالي يتضمن الاستخدام الخاطئ لترتيبات الحصانة القانونية، وهي أيضاً مجموعة من الأساليب غير السوية التي يقوم بها الموظفون الماليون في إدارة الخدمات الصحية، وشركات المراهنات، والمديرون الماليون الذين عادة ما يعرفون بالأصدقاء لدى كبار السن. ويتضمن سوء الاستغلال جانبين-هما الجانب المادي، والجانب المالي الذي عادة ما تتورط فيه الزوجة أو ربت البيت أو المشرفة على خدمة كبير السن، أو الاختلاس وسوء التصرف في الاعتمادات أو المخصصات المالية، أو الممتلكات أو وضع اليد على هذه الملكية أو الأصول المادية.

ودائماً ما يعبر القائمون على مسؤولية ممتلكاتهم عن القلق فيما يتعلق بوضعهم المالي، ولا يظهرون إلى ما يعكس إشفاق على حالتهم البدنية، ولا يبالون أو يباهون بوضعهم الصحي أو العقلي. ومن مظاهر الانتهاكات المالية، فقدان الكثير من المتعلقات الشخصية لكبار السن، مثل مجوهراتهم ولوحاتهم الفنية، إلى جانب ظهور الإمضاءات على الشيكات والمستندات التي دائماً ما يثبت أنها تزوير لإمضاء الشخص المسن. [27]

4- الإهمال:

ويشير إلى القصور في انجاز الواجبات الخاصة بكبار السن واقتراف أنماط أخرى من سوء المعاملة؛ مثل التأخير في إمدادهم بالطعام، أو في خدمات الرعاية الصحية، أو منع السماعات أو النظارات عنهم، وتركهم مهجورين ومنعزلين.

ولعل إهمال الخدم لكبار السن يمثل أحد الأنماط الملموسة، ويمكن أن يتراوح بين حجب الرعاية واللامبالاة في الفشل والتغاضي المتعمد عن تلبية الاحتياجات الجسدية والاجتماعية والعاطفية للشخص الكبير. وقد يكون الإهمال نشيطاً أو سلبياً، وهما يختلفان من ناحية القصد أو النية. فالإهمال النشيط يؤكد إن المخولين بالمساعدة الخاصة يفشلون في أداء الالتزامات المتوقعة منهم تجاه المسنين والمسنات، أما الإهمال السلبي، فهو الفشل الغير المقصود وهو دائماً ما يأتي نتاجاً للعبء الزائد، على القائم بالرعاية، أو لنقص المعلومات التي لدية حول استراتيجيات هذه الرعاية، ولا سيما كيفية أدائها، ولقد أوضح الباحثون إن الإهمال ينعكس بآثار عدة على كبار السن؛ كسوء التغذية، وفقدان الوزن، والآثار السوداء أسفل العين مما يجعلهما باهتين، وعديد من المشكلات البدنية أو النفسية. [28]

ومن وجهة نظر الباحث يعرف الإهمال: بأنه عدم إعطاء اهتمام وخدمات للمسنين بهدف التسبب بألم جسدي ونفسي لديهم، وهذا النوع من العنف يضم عدة تصرفات مثل: منع الأكل والدواء عن المسن وعدم الاهتمام بنظافة بيته وبنظافته الشخصية، وعدم الاهتمام بشروط معيشية أمنة وغيرها وينقسم إلي:

أ- الإهمال السلبي: المتمثل في عدم مقدرة الأسرة على إشباع حاجات المسن الصحية والنفسية والاجتماعية والاقتصادية، بسبب ظروف الأسرة الاقتصادية، أو بسبب تركيبة الأسرة، وبسبب نقص وعي المرتبط برعاية المسن.

ب – الإهمال الغير مقصود: ويحدث هذا النوع من الإهمال بغير قصد أو نية نتيجة للأعباء الكبيرة الملقاة على عاتق من يقوم بالرعاية أو عن جهل بأفضل السبل لرعاية المسن، كما ينجم هذا النوع من الإهمال لغياب المعلومات ذات الصلة بالعناية بالمسنين وكذلك ضآلة الدعم الفني والاجتماعي لمقدم الخدمة، مما يجعله يعتمد من ناحية على ما لدية من معلومات قد تكون قاصرة أو مغلوطة، ومن ناحية ثانية اجتهادات شخصية.

ويرى الباحث إن هذا النوع من الإهمال الذي يتعرض المسن هو إهمال غير واضح، أو بسبب عدم وجود من يعتني به، وغالبا لا يشعر المسن بهذا الإهمال اعتقادا منه انه ليس بالمكان الحصول على ما هو أكثر.

ج – الإهمال المقصود: ويعني هذا النوع من الإهمال أن من يقوم بعملية رعاية المسن يتعمد التقصير في أداء واجباته نحو من يقوم برعايته، فقد يقصر في إطعامه أو يتركه يعاني من العطش، أو يقصر في نظافته لجسمه أو ملبسة أو مفرشه، أو يتعمد حرمانه من ممارسة نشاطاته الاجتماعية، ويتمثل أيضاً في الإهمال المتعمد لحاجات المسن من جانب الأسرة كعدم الاهتمام بصحته وعلاجه، وإهمال المواعيد المخصصة لتناول الأدوية والذي يترتب علية الإضرار برفاهية المسن.

د – إهمال النفس: وذلك من جانب المسن نفسه. أي إن المسن عنده استطاعة بان يقوم برعاية نفسه ولكن لا يعمل هذا قصداً منة أن ينال عطف الآخرين والشفقة علية.

و – الإهمال النفسي والعاطفي: من خلال عدم مخاطبته والتحدث إليه، وعدم إشراكه في الأمور الأسرية.

5- العنف المجتمعي:

يؤكد علماء الاجتماع أهمية العلاقات الاجتماعية في تحقيق الحاجات الشخصية، حيث يشير وايس إلى أنها تمنح الإنسان فرصاً متباينة للحصول على العون الاجتماعي. ويؤكد وايس أنه إذا فقد الإنسان علاقة اجتماعية معينة، فأنه يصبح بحاجة إلى مرحلة توازن لكي يعوض هذا النقص. ويتوقف ذلك على ما يمكنه تحقيقه من الوازن في الحصول على العون الاجتماعي الذي يجد الإنسان من خلاله الأمن والطمأنينة، وتتاح له فرصة الاندماج الاجتماعي الذي يسمح له بمنظومة من العلاقات الاجتماعية يشعر من خلالها بمدى الاهتمام الذي يوليه الآخرون له، ومن ثم يتولد لدية الإحساس بأهمية وبالائتلاف الموثوق به، الذي ينشأ من خلال علاقات يستطيع بمقتضاها الحصول على المساعدة تحت أي ظرف. ويرى وايس إن المجتمع وما يرتبط به من انساق اجتماعية يقوم بمنح الفرد كثيراً من صور العون الاجتماعي.

وامتداداً للواقع الأليم الذي يعيشه كبار السن، فأنهم يرون في ردود فعل الشباب والفجوة القائمة بين الجيلين، تشخيصاً سيئا لما يلاقونه من عدم الاحترام والتقدير. [29]

ثانياً: مجالات العنف ضد كبار السن:

المجال العائلي:

يشير العنف العائلي ضد كبار السن إلى صور مختلفة من سوء المعاملة يقع فيه أشخاص تربطهم علاقة خاصة؛ مثل الزوجة، الأخ، الأبناء، الأطفال، الأصدقاء، أو شخص ما يقوم برعاية كبير السن في بيت يملكه المسن، أو يملكه القائم بالرعاية.

المجال المؤسسي:

ويشير إلى الألفاظ البذيئة التي يسمعها كبير السن في مؤسسات رعاية المسنين، ومن ناحية أخرى يشير إلى أي من الصور المشار إليها سابقاً عن أشكال العنف، والتي قد تحدث في المرافق السكنية، ويكون مرتكبو العنف المؤسساتي عادة أشخاصاً يقومون بإدوار تعاقدية أو قانونية توكيلاً عن كبار السن، أو يقومون برعايتهم وحمايتهم، ومنهم على سبيل المثال من يقومون بالدفع المالي للقائمين بالرعاية، والموظفون، ومحترفو الرعاية.

المجال الذاتي:

ويتمثل في الصور المختلفة من الهجر والإهمال، ويعني الإهمال رفض تلبية احتياجات الشخص كبير السن أو الإخفاق في ذلك، ويتضمن الفشل في دفع مقابل للخدمات الخاصة بكبار السن وفشل مسئول الخدمة المحلي في إبداء الاهتمام الكافي، ويعتبر الإهمال واضحاً أو ملموساً من خلال رفض إمداد الشخص الكبير السن ضرورات الحياة أو الفشل في ذلك.

ويمكن تعريف الهجر، بأنه هروب الشخص الكبير السن من الفرد الذي يتولى مسؤوليته، وتتضمن علامات الهجر، هروب كبار السن من المشافي أو مؤسسات رعاية المسنين، ودائماً ما يصير هروبهم إلى أماكن عامة أو بعيدة، حيث يعبرون عن امتعاضهم من هذه الحياة المأسوية. [30]

ثالثاً: دوافع العنف:

تؤكد التساؤلات الكثيرة حول دوافع العنف ضد المسنين إن الأسباب عادة ما تكمن وراء ضغوط الحاجة المادية الباهظة والتي تسبب في مشكلات جمة لهم ولذويهم الذين يقومون على رعايتهم.

فيمكن القول إن العنف يصبح أكبر كلما عرقلت الضغوط التي يعانيها كبار السن تفاعلهم الاجتماعي الصحيح، وخصوصاً إذا كان المسنون يعانون المشكلات الصحية التي، التي تعني إن الأسرة أو القائمين بالرعاية يتعين عليهم العناية الفائقة وتحمل التكلفة المالية الباهظة التي قد ترهن الأسرة المتوسطة أو البسيطة.

ولقد أكدت بعض الدراسات إن الدوافع وراء العنف ترتبط بما يمكن تسميته بالعوامل الموقفية، كالبطالة التي يعانيها المسن، وتعتبر مؤثراً سلبياً فيه وفي كبير السن معاً، وكذلك المشكلات الزوجية والاقتصادية المتعلقة بتوفير الرعاية لكبار السن، وهناك أيضاً الضغوطات ذات المنشأ المالي مثل الضغوط الخاصة بتامين الرعاية الشاملة، وضغوط المشكلات الصحية، ويمكن أن تتضمن هذه العوامل المواقف السلبية تجاه كبار السن التي تساهم في شعورهم بأنهم عديمو الفائدة. وتتمثل هذه الدوافع فيما يلي:

1- التعبير عن النفس، حيث يستخدم البعض لغة العنف للتحرر من مشاعر الغضب، والإحباط التي تدور بداخلهم ، لأنهم لا يجدون إجابات علي المشاكل التي يواجهونها ، وبالتالي يجدون هذا المخرج في إطلاق سراح غضبهم ، والذي يترجم في صورة العنف.

2- وسيلة للمناورة: والمناورة هنا للسيطرة علي الآخرين أو الوصول إلي شيء يريدونه.

3- وسيلة لأخذ الثأر والانتقام: حيث يكون الثأر والانتقام مبررا لأشخاص آخرين سواء للدفاع عن فرد يهتم به أو الانتقام من شخص قام بإزائه.

4- سلوك مكتسب: مثله في ذلك مثل السلوك المكتسبة، يتعلمها الشخص بمرور الوقت ولكن من السهل تغييرها. [31]

رابعاً: العوامل المرتبطة بالعنف:

العوامل المرتبطة بالعنف معقدة ومتشابكة ويصعب تحديد عامل واحد أو عامل مباشر بل هي تفاعل بين مجموعة عوامل منها:

1- العوامل الاجتماعية: هي الوسائل المجتمعية التي تؤدي إلي نتائج سلبية أو ايجابية أو تكون ممهدة لنشوء ظاهرة اجتماعية جديدة.

أ-التمييز بين الجنسين

ب- أفضلية الذكر عن الأنثى ومنحه سلطة الولاية حتى لو كان الأخ الأصغر عمرا من الأنثى.

ج- نمط الأسرة، الأسرة الممتدة فيها عنف أكثر من الأسرة النووية

د- المفاهيم الخاطئة التي تتعلق بالحقوق والواجبات للزوج والزوجة.

2- العوامل النفسية ومنها:

أ- الضغط النفسي.
ب- القلق واليأس.
ت- اضطراب الشخصية.

3- العوامل الاقتصادية:

أ - الظروف الاقتصادية الصعبة

ب- يزداد العنف لدي الأسرة التي لا تمتلك منزلا.

ج - دخل الأسرة. كلما قل الدخل المالي للأسرة، كلما زادت نسبة العنف الجسدي والنفسي والاجتماعي في الأسرة.

خامساً: آثار العنف:

يساهم العنف الأسري في إعاقة الأسرة، ويجعل من الصعب عليها القيام بوظائفها، وتختلف الآثار التي تظهر على الضحية التي تتعرض للعنف الأسري باختلاف الشخص الذي يقع عليه العنف، فالطفل الذي لم تتكون شخصيته بعد يختلف عن المرأة التي تتعرض للعنف الزوجي بعد زواجها، وكذلك عن العنف الممارس ضد كبير السن الذي يحتاج في أخر شيخوخته لمن يحترم سنه، ويشبع حاجته للحب والرعاية والحنان.

ان معظم الدراسات تؤكد على آثار صحية عديدة تظهر نتيجة العنف الممارس في الأسرة، فقد أبرز التقرير الذي صدر عن منظمة الصحة العالمية في 24 نوفمبر 2005 جنيف / لندن، إن ظاهرة العنف المنزلي تتسبب في آثار صحية وخيمة، وكذلك جاء في دراسة أخرى: إن المشقة المزمنة الناجمة عن التعرض للعنف والخوف المتواصل من حدوثه يدفع بالضحايا إلي التردد علي عيادات الأطباء طلبا للعلاج من بعض الأعراض النفس جسمية، كالصداع والسعال والشعور بالوخز والتنميل والأرق ونقص الوزن.[32]

وفي محاولة لذكر بعض الآثار التي تظهر على المرأة والطفل والمسن يلاحظ ما يلي:

1_ آثار العنف علي المرأة: تتراوح الآثار النفسية للعنف علي المرأة بين أمراض نفسية وأخري نفس – جسدية كالمشكلات النسائية والأمراض الصدرية شأن مرض الربو. والي ما هنالك من أمراض لا أساس عضوي لها، والتي هي نتيجة مباشرة للعنف الممارس على المرأة. ومن أهم الآثار النفسية التي تبدو على المرأة الشعور بالخوف بعد تعرضها للعنف أو إثناء الاعتداء عليها، وقد يعتريها الشعور بالذنب دون أن تكون قد ارتكبت خطأ، فقط تشعر بأنها مسؤولة عن هذا العنف.

ومن الآثار الأخرى التي تظهر على المرأة المعنفة داخل أسرتها انخفاض قدرتها على رعاية أطفالها والاهتمام بهم بل يزيد احتمال ضربها لأطفالها.

2_ **آثار العنف عن الطفل :** تبدأ نتائج هذا العنف تظهر علي الأطفال في سن مبكرة عندما يكونون أجنة في بطون أمهاتهم حيث يصابون بأذى نتيجة ضرب إبائهم أمهاتهم , وبعد ولادة هؤلاء الأجنة فان الخطر يتسع ، ومن التأثيرات الأكثر خطورة ما يصيب الأبناء في حياتهم العلائقية مع الجنس الأخر مستقبلا، إذ أن الكثير منهم وبخاصة البنات تترسخ لديهم قناعة لا واعية بأن الحياة الزوجية عذاب بعذاب ، لذا نري أن البنات يمتنعن عن الزواج ويرفضن أي شاب يتقدم لخطبتهن لأنه برأيهن يمثل صورة الأب الظالم العنيف ، وأن حياة العزوبية هي أرحم بكثير من الحياة الزوجية.

3_ آثار العنف ضد المسنين: تختلف نتائج العنف الممارس ضد كبار السن من العنف الممارس ضد الطفل أو المرأة من ناحية إمكانية عدم شفاء كبار السن الذين يتعرضون لسوء المعاملة ، وربما لا يبرؤون أبدا من ألآمهم الجسدية أو النفسية ، فقد وجدت الباحثة سميرة المستهراوي في رسالة الماجستير التي قامت بها حول الروابط الأسرية وعلاقتها بمشكلات المسن أن هناك علاقة طرديه بين سوء معاملة المحيطين بالمسن، والمشكلات النفسية التي يعاني منها وإحساسه بالترابط الأسري ، ومن مظاهر سوء المعاملة التي تظهر علي المسن ما يلي:

1- عدم الالتزام بتناول الأدوية.
2- عدم انتظام المواعيد في المراجعات الطبية.
3- الإصابات الجسمانية المتكررة بدون أسباب واقعية وذكر تبريرات واهية لها.
4- العزلة الاجتماعية.

5- الشعور بالخوف الدائم.
6- التردد في الحديث والشعور بفقدان المساعدة.
7- تكرار الزيارات الفردية للأطباء والشكوى من أعراض جسمانية مختلفة.
8- الشعور بالاكتئاب النفسي والقلق عند زيارة الأطباء (سوء معاملة كبار السن، موقع وزارة الصحة مملكة البحرين على الشبكة العنكبوتية، www.moh.gov.bh).

سادساً: الرؤية المستقبلية لنتائج البحث:

هناك بعض الخصائص السائدة بين المسنين في هذه المرحلة والتي تتمثل في بعض المظاهر والخصائص الجسمية، وهي تدهور الحالة الصحية للمسن بالنسبة لجميع أعضاء الجسم سواء بضعف الحواس من أبصار وسمع وشم، وأيضا الترهل في العضلات، والخصائص النفسية، وهي الشعور بالخوف والقلق مما يؤثر في زيادة حالات الاكتئاب والتقلب المزاجي وانتشار الأمراض السيكوسوماتيه وعدم القدرة على التكيف مع الآخرين، وأيضاً هناك مجموعة من الخصائص الاجتماعية. وهي الفراغ الاجتماعي نتيجة لتفرق الأصدقاء وفقدان شريك الحياة والشعور بالفتور العام نتيجة لانشغال الأبناء وأسرهم مما يجعله يفكر في نفسه بأنه ليس لديه قيمة في المجتمع.

فمن خلال ما تم استعراضه في هذا البحث يمكن أن نتنبأ ببعض الرؤى المستقبلية التي تكفل حق كبار السن في العيش بحياة كريمة، والتي تبعده عن بعض المشاكل الحياتية وهي:

1- وضع برامج ترفيهية لتشغل وقت فراغه وتجعله يشارك في الحياة الاجتماعية مع الأسرة والمجتمع.
2- عمل محاضرات دينية في النوادي والإذاعات المرئية تجعل كبير السن غير منعزل على المجتمع ويكون عنصراً فعالاً فيه وتبعده عن الشعور بالاكتئاب.
3- توعية الأبناء اتجاه والديهم وحرصهم على رعايتهم وتقديم لهم مد العون وتوفير سبل الراحة لهم، تجعل الكبير في السن يشعر بالطمأنينة داخل الأسرة وخارجها.

نتائج البحث:

1- معظم الدراسات تؤكد أنَّ المسنين سواء داخل محيط الأسرة أو خارجها، ترتفع نسبة الأمية لديهم.

2- تؤكد الدراسات إن المسنون داخل الأسرة وخارجها، بان علاقاتهم قد تغيرت إلى الأسوأ مع الأبناء ومع أفراد المجتمع بعد وصولهم سن الشيخوخة.

3- درجة العنف في المجتمع في الماضي كانت غير موجودة، أو تكاد تكون قليلة الوجود، بينما في الوقت الحاضر بدأت في ازدياد بشكل مفرط.

4- معظم الدراسات تؤكد إن غالبية المسنين من داخل محيط الأسرة، هم من يقيم معهم الأبناء، وليس المسن هو الذي يقيم مع الأبناء، إلا في حالات قليلة جداً أو بسبب وفاة أحد الزوجين.

5- غالبية العنف الذي يحدث داخل محيط الأسرة ، هو بسبب تدخل زوجة الابن في شأن الأسرة، أو لعدم رضاها بإعالة المسن.

6- أن أسباب ممارسة الأبناء للعنف ضد كبار السن أو آبائهم ، يكمن في الغالب في ضعف الوازع الديني لدى الأبناء، وعدم رد الجميل للآباء.

7- معظم الدراسات تؤكد إن الدخل المرتفع للأبناء يزيد من ممارسة العنف في حقهم.

8- التعليم سواء للإباء أو الأبناء، هو الذي يحد من ممارسة العنف عليهم، ويزيد من توافق الأبناء مع إبائهم، وهو سبب في حدوث الاستقرار بين أفراد الأسرة.

9- أغلب الدراسات تؤكد إنه نادراً ما يوجد عنف في المجتمع يمارس ضد كبير السن في الماضي، في أنَّ حين ازدياد هذه الظاهرة بشكل كبير في الحاضر ، سواء كان العنف ممارس ضد الأبناء أو النساء أو ضد كبار السن.

10- نلاحظ أنَّ العنف الممارس ضد كبار السن يتراوح بين الإهمال، والعنف اللفظي، في حين يكون العنف الجسدي، له وجود ولكن بصورة قليلة.

11- يعاني معظم المسنين من داخل الأسرة وخارجها، من وجود بعض الخلافات بينهم وبين

المحيطين بهم، وذلك بسبب كثرة مطالب المسنين وتنوعها والاختلاف في وجهات النظر.

12- يرى المسنون من داخل محيط الأسرة، أنَّ ذهابهم إلى دور الرعاية ، إهانة للمسن في أخر أيام العمر، في حين يراها المسنين الذين ضاقت بهم السبل وعدم وجود عائل شرعي لهم، بأنها مكان آمن، وهي غير إهانة للمسن.

13- غالبية المسنين سواء من داخل الأسرة أو خارجها، يشعرون بان المسئولين غير مهتمين بهم، ولا تسن قوانين صارمة تحافظ على حقوقهم.

14- من خلال ما تبين من نتائج، فإنَّ التربية الجيدة للأبناء، وطريقة الحوار بينهم وبين أبنائهم هي التي تحد من ممارسة العنف ضدهم في الكبر.

15- معظم الدراسات تؤكد أنَّ التنشئة الجيدة للأبناء، هي مصدر القبول بالآخر واحترام كبار السن، وإعطائهم مكانة مرموقة بين أفراد الأسرة، ومحيطهم الاجتماعي.

16- للإعلام الهادف ، دور بارز في زياد الوعي للأبناء اتجاه أبنائهم.

17- معظم الدراسات تؤكد أنَّ سبب ممارسة العنف بجميع إشكاله من قبل الأبناء ضد أبائهم ، راجع إلى انشغال الأبناء، ولفترة كبيرة خارج الأسرة، وكذلك التغير السريع للمجتمع، دون التيقظ إلى الدين ، والعادات ، والتقاليد التي تربيا عليها الآباء، التي تعطي اهتمام كبير في رعاية كبير السن.

توصيات البحث:

في سياق البيانات والنتائج التي توصل إليها هذه البحث، وفي إطار التزايد المستمر والسريع لأعداد كبار السن داخل المجتمع، ولعدم الاهتمام بهذه الشريحة من المجتمع بالشكل الأمثل؛ عليه فان الباحث يوصي بالآتي:

1- القيام بعمل جماعي منظم يشمل أخصائيين اجتماعيين يكون دورهم توعية أفراد الأسرة والأبناء تحديداً بكيفية التعامل مع كبار السن، ومشاكلهم المختلفة، وتكثيف الجهود الإعلامية في المساعدة في هذا العمل ، والتعريف بأهميته.

2-العمل على إنشاء أندية للمسنين تتوفر بها وسائل الترفيه المختلفة، والتثقيف المناسب الذي يساعد على تمضية وقت فراغ المسنين بطريقة مجدية.

3-السماح للمسنين القادرين على العمل بالاستمرار فيه ما أمكن مما يضمن لهم وضعاً اقتصادياً جيداً، وتفادياً لمشكلات وقت الفراغ.

4-إعادة النظر في المناهج التعليمية في جميع المراحل الدراسية، ولاسيما التعليم المتوسط والجامعي من حيث اهتمامهم بموضوع المسنين بجوانبه المختلفة ، وخاصة طب المسنين ورعايتهم اجتماعياً.

5- زيادة العناية الطبية والعلاج لكبار السن وخاصة أولئك الذين يعانون من بعض الأمراض الجسدية ، والنفسية، وتزويد دور الرعاية بالأخصائيين في الخدمات الاجتماعية والنفسية.

6- إقامة دورات تدريبية وندوات علمية للعاملين على رعاية المسنين لتجديد معلوماتهم حول دورهم في رعاية المسنين، ومحاولة إيجاد برامج محو الأمية لتعليم المسنين داخل دور الرعاية.

7- وأخيراً ، يوصي الباحث بدعوة الأبناء إلى إرجاع آبائهم من دور الرعاية إلى أسرهم الطبيعية ما أمكن، وذلك لأنه المكان الطبيعي هو الاسرة.

8-نظراً لما كشفت عنه الكثير من الدراسات وهذه البحث تحديداً الذي يهتم بموضوع كبار السن بان أفضل مكان لرعاية المسنين هو بيئتهم الطبيعية "الأسرة"، وعليه فلابد من الاهتمام بها ودعمها لكي تقوم بهذا الدور.

المقترحات:

كان هذه البحث خطوه في طريق إيجاد حلول للمشكلات التي تتعرض لها هذه الفئة من المسنين فلابد من رفع العنف الواقع على هذه الفئة، فلا ننكر فضلهم علينا في صغرنا وتحملهم مشقة تربيتنا وفيضهم بالحنان والرعاية فلا يكون الرد بالعنف والإهمال واللامبالاة، فعلي كل أفراد المجتمع انه سيأتي اليوم الذي يصبح فيه مسن ولا يجد من يرفع عنه العنف.

ويقترح الباحث جملة من النقاط التي يجب الاخذ بها بعين الاعتبار:

1- إنشاء أندية للترفيه
2- وضع قوانين صارمة للحد من العنف ضد كبار السن
3- تكريم كبار السن في كل المحافل
4- الاهتمام بالأسرة ودعمها لكي تقوم بدورها الطبيعي اتجاه كبار السن .

قائمة المراجع

1- أولا / الكتب

2- ابن منظور: لسان العرب ، دار الجبل - دار لسان العرب ، بيروت ، 1988.
3- دياب: محمد حافظ، العنف والمقدس في خطاب الإسلام الراديكالي في ظاهرة العنف في المجتمع المصري، دار الثقافة، القاهرة، 2005.
4- سعد: منال محمد عباس، التحليل السوسيولوجي للعنف الأسري في المجتمع الحضري (دراسة تطبيقية في مدينة الإسكندرية) رسالة دكتوراه، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، 2009.
5- أبو زيد: محمود، معجم في علم الإجرام والاجتماع القانوني والعقوبة، دار الكتاب للنشر والتوزيع، القاهرة، 1999.
6- بدوي: احمد زكي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، 1986.
7- Adam Kuper, Jessica Kipper, The Social Science Eneyclopedia, Second Edition, Rout ledge, London,1996.
8- الرازي: محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، دار الحكمة للطباعة والنشر، دمشق 1973.
9- 8- الزاوي: الطاهر احمد ، مختار القاموس ، الدار العربية للكتاب ، الجماهيرية ، 1981.
10- 9-رفيق العجم: تحقيق: علي دحروج ، موسوعة كشاف إصلاحات الفنون والعلوم "ج2 –" مكتبة لبنان، بيروت ، 1996.
11- نكري: عبد النبي عبد الرسول الأحمد، موسوعة مصطلحات جامع العلوم "تحقيق ": رفيق العجم، مكتبة لبنان، بيروت، 1997.
12- فهمي: محمد سيد، الرعاية الاجتماعية لكبار السن، دار المعرفة الجامعية، 1995.
13- مجموعة باحثين: موسوعة بهجت المعرفة، الكتاب الثاني (الإنسان والمجتمع) الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، الجماهيرية.
14- دعيبس: محمد يسري، أوضاع المسنين في الثقافات المختلفة، دار المطبوعات الجديدة، 1991 الإسكندرية.
15- عمر: معن خليل، البناء الاجتماعي أنساقه ونظمه، الشروق للنشر والتوزيع، 1999.
16- بيري: الوحيشي، علم اجتماع الاسرة، منشورات الجامعة المفتوحة، طرابلس، ليبيا، 2001.
17- السرحان: عبد الله ناصر، رعاية المسنين في الإسلام، ط1، 1998.
18- فهمي: محمد سيد، مرجع سابق.
19- الزبيدي: علي جاسم عكلة، سيكولوجية الكبر والشيخوخة، إثراء للنشر والتوزيع، الأردن، 2009.
20- قناوي: هدى محمد، سيكولوجية المسنين، مركز التنمية البشرية، القاهرة، 1987.
21- حسين: مدحت فؤاد، تنظيم المجتمع، دار النهضة العربية، ط2، القاهرة 1996.
22- قناوي: مرجع سابق،.
23- فهمي: نهى السيد حامد، التوافق الاجتماعي للمسنين، المجلة الاجتماعية القومية في مصر، المجلد 4، العدد2، مايو 1967.
24- عباس: حسين ونيس، الشيخوخة بين الرعاية المنزلية والرعاية المؤسسية، 1980.
25- ببري: الوحيشي، واخرون، المسنون في الجماهيرية، اللجنة الوطنية للتخطيط الاجتماعي، طرابلس، 1997.
26- العبيدي: إبراهيم محمد، علم الشيخوخة الاجتماعي، الزهراء للنشر، الرياض، 2003.
27- العبيدي، مرجع سابق.
28- العبيدي، مرجع سابق.

29- سليمان: محمود صادق، المجتمع والإساءة إلى كبار السن، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاجتماعية، أبو ظبي، 2006.
30- سليمان، مرجع سابق.
31- سوء معاملة كبار السن، موقع وزارة الصحة مملكة البحرين على الشبكة العنكبوتية، www.moh.gov.bh